ROWAQ MAYSALOON
رواق ميسلون
POLITICAL AND CULTURAL STUDIES
دراسات سياسية وثقافية
مجلة فصليّة تصدر عن مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر

تحديات بناء الدولة الوطنية

في هذا العدد

■ حوار العدد مع الدكتور منير الكُشو

■ سمير ساسي: الافتقار إلى الحياة السياسية والتنظيمات السياسية

■ جمال نصّار: الدولة في المفهوم الديمقراطي

■ خلدون النبواني: علاقة الدروز بالآخر

■ شخصية العدد: جودت سعيد

العدد الثاني عشر - كانون الأول / ديسمبر 2023

شخصية العدد

جودت سعيد

■ جودت سعيد: صورة الشيخ في شبابه
محمد أمير ناشر النعم

■ البعد الآخر في فكر داعية اللاعنف جودت سعيد
محمد نفيسة

■ جودت سعيد؛ مُجَدِدًا
أحمد الرمح

■ الآباء أو سؤال مرجعية الآباء عند جودت سعيد
محمد العمَّار

■ التغيير عند جودت سعيد
أحمد طعمة

لوحة للفنان التشكيلي السوري إبراهيم برغود

الأستاذ جودت سعيد

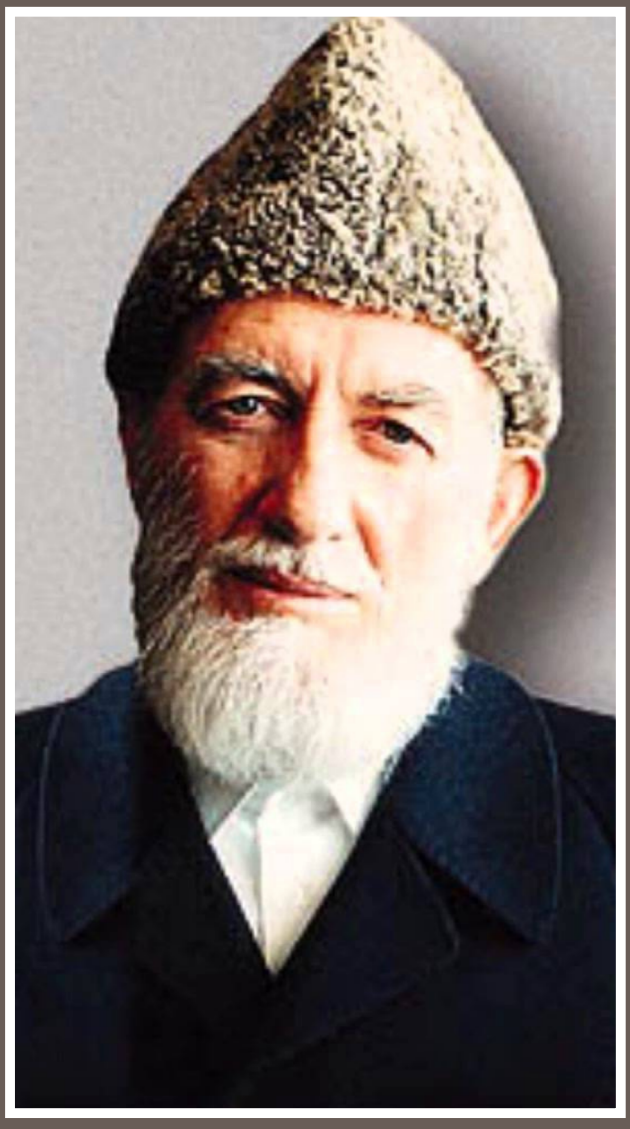

مفكر إسلامي معاصر، ينتمي إلى مدرسة المفكرين الإسلاميين الكبيرين، مالك بن نبي ومن قبله محمد إقبال.

ولد في قرية بأرعجم، في الجولان السوري عام 1931م، درس الثانوية في القاهرة (الأزهر الشريف)، والتحق بكلية اللغة العربية، ليحصل على إجازة في اللغة العربية منها. تعرف إلى الأستاذ مالك بن نبي في آخر مراحل وجوده في مصر بعد أن قرأ كتابه «شروط النهضة»، وتأثر به. درَّس اللغة العربية في ثانويات دمشق، واعتقل لنشاطه الفكري مرات عدة، وعلى الرغم من صدور قرارات بنقله إلى مناطق سورية مختلفة، فإنه لم يترك مجال التدريس إلا بعد أن صرف من عمله في نهاية الستينيات. وبعد حرب 1973، عاد إلى قريته بأرعجم التي تقع في الجزء الذي حُرِّر من الجولان السوري المحتل، وعمل في تربية النحل، والزراعة، لكنه ظلَّ يمارس نشاطه الفكري، إلى جانب متابعة الواقع والنقاشات في الساحة العربية والإسلامية والعالمية.

يُعرف جودت سعيد بأنه داعية اللاعنف في العالم الإسلامي أو غاندي العالم العربي. وقد عبر عن سعادته بهذا الوصف في مناسبات عدة، وكان أول ما كتبه في مطلع الستينيات كتابه (مذهب ابن آدم الأول، أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي).

توفي في مدينة إسطنبول التركية، في 30 كانون الثاني/ يناير عام 2022.

من مؤلفاته: مذهب ابن آدم الأول، حتى يغيروا ما بأنفسهم، فقدان التوازن الاجتماعي، العمل قدرة وإرادة، الإنسان حين يكون كلًا وحين يكون عدلًا، اقرأ وربك الأكرم، كن كابن آدم، مفهوم التغيير، رياح التغيير، لا إكراه في الدين، الإسلام والغرب والديمقراطية، الدين والقانون، رؤية قرآنية.

مؤلفات بالاشتراك: الحوار سبيل التعايش (ندوة مطبوعة)، التغيير مفهومه (ترافقه ندوة مطبوعة)، مقدمة كتاب (أيها المحلفون: الله لا الملك) لمولانا محمد علي.

كتب عنه: (الهجرة إلى الإسلام، إبراهيم محمود، دار الفكر، دمشق)، (النزعات المادية، عادل التل، دار البينة، 1995)، (جودت سعيد بين حديث الأفكار وصمت العلوم، منير أحمد الزعبي، مكتبة دار الفارابي- دمشق).

بعض مؤلفات الأستاذ جودت سعيد

الآباء أو سؤال مرجعية الآباء عند جودت سعيد

محمد العمّار

محمد العمّار

طبيب سوري، مواليد مدينة درعا 1962، ويقيم حاليًا في ريف درعا، مستقل سياسيًا من خلفية إسلامية، ينتمي إلى مدرسة الشيخ جودت سعيد في التغيير، مهتم بالتغيير السلمي، كان له نشاط نقابي معارض منذ الثمانينيات، وشارك في نشاط «إعلان دمشق»، تعرّض للاعتقال السياسي الأول في 21 آذار/ مارس 2011 بعد انطلاق الثورة السورية، وتكرّر خمس مرات خلال السنة الأولى للثورة، أنشأ خلال الفترة التي خرجت فيها منطقة درعا عن سيطرة النظام نشاطًا ثقافيًا لنشر الديمقراطية والتغيير السلمي من خلال محاضرات أسبوعية تشرح أهمية التغيير الثقافي بوصفه التغيير الحقيقي، فُصل من النقابة والوظيفة، ثم أعيد إلى النقابة تحت عنوان (ناشط في المعارضة السياسية تمت تسوية وضعه)، له العديد من المحاضرات والمقالات.

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى والآمرين بالقسط من الناس:

من المداخل المنهجية التي تسهل الولوج إلى عالم جودت سعيد الفكري، بحث مرجعية الآباء أو «سؤال التراث»، وهذا البحث كان عقدة العقد في مواجهة الأنبياء لمجتمعاتهم، كانت مشكلة مرجعية الآباء إحدى الإشكالات الكبرى بين الأنبياء وأقوامهم، وبين محمد (ص) وقومه، ويبدو أنها إحدى **الحجج الأساسية لدى منتقدي جودت سعيد.**

لقد كان الأنبياء عمومًا بحسب ما يرى جودت يدعون مجتمعاتهم إلى مرجعية جديدة غير مرجعية الآباء التي يرجع إليها الأقوام، كانوا يدعونهم إلى «**ما أنزل الله**»، وهي مرجعية متجددة فريدة لاتصالها بآيات الآفاق والأنفس أو الوحي المتصل، وبدروس التاريخ مخبر القيم الإنسانية، كما يشرحها جودت في مواضع مختلفة، وثالثًا؛ لأنها تدعو إلى القيام بالقسط غاية القيم الإنسانية واستقامة الوجود، بينما كان الأقوام يحتجون ويتمسكون بمرجعية «**ما وجدنا عليه آباءنا**».

ومشكلة الآباء كما كان يسميها جودت كانت العقبة الرئيسة أمام النبوات، ولذلك فإنها من أكثر المشكلات التي سعى النص القرآني لتفكيكها وزحزحتها من مكان المرجعية الراسخة والنهائية، إلى مكانة قابلة للتساؤل وممكنة التجاوز، إذ إنه من المستحيل أن تتقدم الأمم عندما تدفن رؤوسها في رمال الآباء.

وكمدخل للبحث نتساءل ما هو مفهوم الآباء بحسب ما يفهمه جودت من القرآن:

لا شك أننا هنا لا نتحدث عن أبوة بيولوجية، بل الآباء هنا هم الأسلاف الفكريون، الذين تركوا لنا تراثًا عظيمًا متألقًا ثقيلًا راسخًا، الآباء الذين صنعوا التاريخ المجيد والحضارة العظيمة!

لكـن هـل يشـفع لهـم إنجازهـم العظيـم، ويمنـح تراثهـم الخلـود كمـا هـو الحـال السـائد فـي عالمنـا الثقافـي؟ أعتقـد أن هـذا الفـرض لا يمكننـا أن نسـلم بـه لأسـباب كثيـرة منهـا:

1. إن تـراث الآبـاء ثابـت متناهٍ والتاريـخ مفتـوح متحـرك، وهـو فـي زيـادة مسـتمرة، ومـن طبيعـة الأفـكار- كمـا يقـول أركـون - إنهـا فـي الغالـب مشـروطة بلحظتهـا التاريخيـة (كل فكـر متموضـع ومسـتهلك فـي محلـه) أي أن كل فكـر هـو صـدى اللحظـة الحاضـرة التـي أنتـج فيهـا.

2. إن الآبـاء قالـوا كلمتهـم فـي مواجهـة ملابسـات تاريخيـة عايشـوها، ولا يمكنهـم قـول أي شـيء فـي ملابسـات لـم يشـهدوها ولـم يعايشـوها، فنحـن نسـتحضرهم فـي حياتنـا كشـهود زور، ونسـتفتيهم فـي قضايـا لا يعلمـون عنهـا شـيئًا، نسـتفتيهم بينمـا الواجـب يقتضـي أن نقـول نحـن كلمتنـا فـي مواجهـة الملابسـات التاريخيـة التـي تواجهنـا.

3. إن اختـلاف الشـرط التاريخـي يفـرض تغيـر المقاربـة التاريخيـة، لأنـه يغيـر الممكنـات التاريخيـة للأفـراد وللأمـم، أي أن الممكنـات التـي عاشـوا فـي ظلهـا لا تتناسـب مـع الممكنـات المتاحـة فـي أيامنـا، وفـي كل مـرة نحـاول أن نسـتعمل ممكناتهـم فـي مواجهـة مشـكلاتنا، سـنكون مثـل مـن يسـتخدم ممكنـات الجراحـة فـي القـرن الثالـث الهجـري لإجـراء عمـل جراحـي فـي عصرنـا علـى سـبيل المثـال، وهـذا وضـع مسـتحيل كمـا يعـرف مـن لـه أدنـى إلمـام بعلـم الطـب، ولذلـك تسـتعصي وتتحجـر أوضاعنـا الثقافيـة، ومـن خلالهـا أوضاعنـا السياسـية والاجتماعيـة.

4. إن التقـدم المعرفـي الـذي حصـل بعـد عصـر الآبـاء يفـرض نفسـه علـى المقاربـات الممكنـة للتحـدي التاريخـي، فقـد زود الفـرد بـأدوات وآليـات لـم تكـن موجـودة، وهـذه الأدوات والآليـات لهـا دورهـا فـي فاعليـة القـراءة والمقاربـة، وتجاهلهـا يجعلنـا نـراوح فـي المـكان مـن ناحيـة القـراءة والتحليـل، ومـن ثـمّ مـن ناحيـة العمـل والفعاليـة.

5. إن سـعة عالـم الممكنـات الـذي خلقـه التقـدم التقنـي يزيـد عـدد الاحتمـالات فـي الحلـول المفترضـة لمواجهـة مشـكلة مـا، فـالأدوات التـي خلقهـا التقـدم التقنـي زادت الإمـكان الإنسـاني، وإذا كان توينبـي قـد قـال عـن تدجيـن الحصـان إنـه زاد السـرعة الإنسـانية، وعـن اختـراع السـيف إنـه جعـل اليـد الإنسـانية أطـول وأكسـبها القـدرة علـى القطـع، فمـاذا فعـل اكتشـاف الكتابـة والـورق والطباعـة والانترنيـت فـي الإمـكان الإنسـاني؟ وأي إضافـة أحدثهـا للدمـاغ والذاكـرة الإنسـانيتين؟

6. إن فـرض خلـود تـراث الآبـاء يتجاهـل الهـوة الكبيـرة بيـن الأحـداث الموجـودة، والمقاربـات التقنيـة الممكنـة التـي خلقهـا تطـور عالـم الأشـياء، وسـبق وتحدثنـا كيـف يؤثـر تطـور عالـم الأشـياء فـي الإمـكان الإنسـاني.

7. إن فـرض خلـود تـراث الآبـاء الـذي تسـلم بـه الأمـة مـن غيـر إعـلان، عنـد التفكيـر فيـه جديًـا، لـه معـان خطيـرة مـن الناحيـة العقائديـة، إن تخليـد البشـر بتخليـد كلامهـم، هـو نـوع مـن الوثنيـة الدينيـة، لأنـه يجعـل «للـه أنـدادا» بحسـب التعبيـر القرآنـي، فبحسـب الخطـاب القرآنـي اللـه نـزل كتابًـا جعـل لـه الخلـد، بينمـا الأمـة خلـدت كتبًـا وكتّابًـا كثيريـن، وجعلـت لكتبهـم الخلـد مثلمـا خلّـد الحـق كتابـه، بـل وجعلـت اليـد العليـا لهـذه الكتـب حتـى علـى كتـاب اللـه.

8. لا يمكـن أن نقـوم بدورنـا فـي التاريـخ، إلا إذا كنـا نعتقـد أن الآبـاء درجـة فـي سـلم التواصـل مـع الحقيقة،

وليسوا سلم الوصول إلى الحقيقة، إن عدد الطرق إلى الحقيقة بقدر عدد البشر، ومثلما تغيرت جغرافيا الكرة الأرضية خلال القرون، فإن جغرافيا الفكر الإنساني قد تغيرت أيضًا، ولا يمكن إعادة إنتاج التجارب السابقة بحرفيتها في أي مجتمع إنساني، وإن كانت التجارب السابقة الناجحة دليل على صحة النموذج وإمكانه، ويمكننا أن نعمل على إعادة إنتاجه بما يتناسب مع ممكنات العصر، وروح العصر، لا أن نعيد إنتاج الحالة التي أُنتجت وفقا لممكنات قرون خلت.

9. إن الآباء هم لحظة في تاريخ الأمم، وليسوا هم الأمة، ففي الأمة إمكانات وطاقات يجب أن توظف في بناء اللحظة الحاضرة، بدل التعويل على جهد الأولين المشروط بالتاريخ وممكناته في لحظتهم، والتعطيل لجهد الحاضرين المفتوح على التاريخ.

أين نضع تراث الآباء؟

1. إن الآباء قد قاموا بدورهم في لحظة من التاريخ، وقدموا إجاباتهم على التحدي الحضاري، وسجلوا بصماتهم في التاريخ، وهذا يجب أن يكون محل امتنان وتقدير، لكن من الخطورة بمكان أن يكون موضع تصنيم ومحل تقديس، لأن هذا سيعطل الجهد، ويُقعد عن العمل، ومن ثمّ سيكون الحال كما هو في عالمنا الثقافي اليوم، حيث تسود في الثقافة مقولة «ما ترك الأول للآخر شيئًا»، لكن العلماء الذين يدركون حركة التاريخ أدركوا أن الصواب أن يقال: «ما ترك الأول للآخر شيئًا أضر من قولهم» «ما ترك الأول للآخر شيئًا»

2. إن الآباء وهم يصوغون ردهم على تحدي التاريخ، لم يخطر في بالهم أنهم يصنعون قيودًا، أو ينحتون أصنامًا، إنما كانوا يسجلون جوابهم على تحدي التاريخ لهم بما يناسب حاضرهم، وكانوا يواجهون ضرورات حاضرهم بممكناتهم[1]، التي لم تكن أبدًا ممكنات نهائية أو خارجة عن شرط الزمان والمكان.

3. إن الأجوبة الهادية المحررة في لحظة من التاريخ، قد تتحول إلى آصار وأغلال في عصر تالٍ، حدث هذا في كل مجال وفي العلوم كلها، في الفلك والطب[2] وغيرها من العلوم، ولذلك كان من وظائف الأنبياء جميعهم بحسب القرآن التنوير والتحرير: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (سورة الأعراف، الآية 157).

وعندما نحوِّل تراث الآباء إلى قيد على حركة التاريخ فنحن نهجر طريق الأنبياء، ونخون رسالتهم.

---

(1) وللمثال نذكر ما جاء في مقدمة كتاب الأم في الفقه للشافعي عن تلميذه إسماعيل بن كثير قوله: «نقلت هذا من معنى كلام الشافعي مع إعلامي نهيه ونهي غيره عن تقليده أو تقليد غيره»، لكن هذا لم يمنع أتباع المذهب أن يحولوه إلى ما يشبه الدين في لحظة من التاريخ.

(2) الذين شرحوا الجسم الإنساني لأول مرة في العصور الحديثة، لم يجرؤوا على تخطئة أرسطو، بل صرحوا أن الجسم الإنساني ربما اعتراه بعض التغيير عبر التاريخ لأنهم وجدوا في التشريح للجسم الإنساني ما يخالف مقولات المعلم الأول.

4. إن تـراث الآبـاء يمكـن أن يخـدم كنقطـة ارتـكاز ننطلـق منهـا، وسـيكون مدمـرًا إن اسـتُخدم كسـقف نتطلـع إليـه، لأنـه سـيحول بيننـا وبيـن النمـو والتقـدم، (وهـذا مـا يحـدث الآن مثـلًا فـي التوليفـة «السـلفية» حيـث يوضـع تـراث الآبـاء كسـقف يمثـل أقصـى الممكـن فـي مـا نتطلـع إليـه، بينمـا هـو فـي الحقيقـة أقصـى الممكـن بحسـب زمانـه ومكانـه، وليـس أقصـى الممكـن مطلقًـا) وهـذه الرؤيـة سـتجعلنا كالأطفـال الذيـن يصابـون ببعـض الأمـراض الولاديـة التـي تؤخـر نموهـم العقلـي والجسـدي وتشـل تطورهـم الروحـي والحركـي، وعندهـا سـتكون اسـتجاباتنا للتحديـات التاريخيـة، غيـر متناسـبة وغيـر فعالـة، كمـا يحـدث اليـوم. (فـي الحركـة الإسـلامية، والحركـة السياسـية عمومًـا)، هـذا الكسـاح العـام فـي الاتجاهـات السياسـية كلهـا سـببه البلاسـما الثقافيـة المشـتركة التـي يسـبح فيهـا الجميـع، وعلـى سـبيل المثـال فـإن **الإيمـان بالعنـف الـذي هـو القاسـم المشـترك الأعظـم بيـن مختلـف الفرقـاء فـي عالمنـا الثقافـي يلغـي السياسـة فـي المجتمـع لصالـح القـوة التـي يؤمـن بهـا الجميـع كفلسـفة عمـل.**

هـل آبـاء المسـلمين كآبـاء الآخريـن يخضعـون لسـنن الله فـي الخلـق؟ أم لهـم وضـع خـاص؟

لاشـك أن جميـع الأمـم ترتبـط بتراثهـا بروابـط نفسـية وفكريـة يصعـب التحـرر منهـا وإقامـة علاقـة صحيحـة متوازنـة معهـا، ويسـتحيل التخلـص منهـا بالكليـة فهـي كالجـذور للنبـات (فعلـى سـبيل المثـال علـى الرغـم مـن الـذي يقـال عـن الغـرب المتقـدم، والـذي لا شـك فـي تقدمـه بجميـع المقاييـس، تظهـر الأحـداث الاتجاهـات العميقـة فـي الثقافـة الغربيـة التـي بـدأت تعبـر عـن نفسـها مـن خـلال اليميـن بـل مـن خـلال الطيـف السياسـي كلـه كمـا بينتـه أحـداث غـزة الأخيـرة)، فنحـن نتحـدث هنـا عـن سـنة أنفسـية، تنطبـق علـى جميـع الأفـراد و المجتمعـات، وآبـاء المسـلمين كغيرهـم مـن الآبـاء، والمسـلمون كغيرهـم مـن البشـر، يرتبطـون بتراثهـم مثلمـا يرتبـط الآخـرون بتراثهـم، لأنهـم (بشـر ممـن خلـق) تحكـم سـلوكهم السـنن التـي تحكـم سـلوك غيرهـم مـن البشـر كأفـراد ومجتمعـات، وهـم عرضـة للإصابـة بالأمـراض التـي يصـاب بهـا غيرهـم مـن البشـر فـي النفـس والمجتمـع، تمامًـا كمـا يحـدث فـي البيولوجيـا، ونسـتطيع مـن خـلال الوقـوف علـى بعـض التطبيقـات النبويـة والنصـوص القرآنيـة أن نحـدد الملامـح العامـة لهـذا المفهـوم « مفهـوم السـنة أو القانـون»:

1. إنهـا سـنة عامـة، ومعنـى أنهـا سـنة عامـة هـو أنهـا تنطبـق علـى الجميـع ولا تسـتثني أحـدًا، والذيـن اعتقـدوا أنفسـهم اسـتثناءً علـى السـنة، فقالـوا : « نَحْـنُ أَبْنَـاءُ اللَّـهِ وَأَحِبَّـاؤُهُ « رد اللـه عليهـم دعواهـم، و أبطـل ادعاءهـم بكونهـم اسـتثناء علـى القانـون، وقـدم الدليـل الـذي يبطـل دعواهـم مـن واقعهـم المعـذب البائـس، «**قُـلْ فَلِـمَ يُعَذِّبُكُـمْ بِذُنُوبِكُـمْ**» ثـم أكـد مـن جديـد «أن السـنة تسـري وتنتظـم الخلـق جميعـا مـن غيـر اسـتثناء» « **بَـلْ أَنْتُـمْ بَشَـرٌ مِمَّـنْ خَلَـقَ يَغْفِـرُ لِمَـنْ يَشَـاءُ وَيُعَـذِّبُ مَـنْ يَشَـاءُ** وَلِلَّـهِ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا وَإِلَيْـهِ الْمَصِيـرُ} (سـورة المائـدة، الآيـة 18).
2. لقـد كان النبـي يـدرك هـذا المعنـى السـنني فـي نظرتـه إلـى لمجتمـع، ففـي حادثـة المـرأة المخزوميـة التـي سـرقت، واسـتكبر بعـض النـاس أن يقـام عليهـا حـد السـرقة، لمنزلتهـا أو منزلـة قومهـا! أوضـح النبـي للمسـلمين هـذا المعنـى، وأخبرهـم أن انتظـام الحيـاة الاجتماعيـة وازدهـار العمـران مرتبطـان بـدوام الانضبـاط بالسـنة، وأنـه لا يمكنهـم أن يسـتثنوا أحـدًا فـي تطبيـق العدالـة، وإن الانـزلاق فـي طريـق الانتقائيـة وازدواجيـة المعاييـر فـي تطبيـق العدالـة، أمـر يهـدد المجتمـع بالـزوال، وقـال لهـم بمـا يعنـي: لقـد بيـن تاريـخ المجتمعـات، وهـو مرجعيـة كاملـة كمـا يـدل عليـه الحـدث والحديـث، أننـا **لا يمكـن**

أن نلعب بميزان العدالة من دون أن ندفع الأثمان، هذه سنة الله في الذين خلوا من قبل، وأن **الانتقائية في تطبيق العدالة والمعايير المزدوجة في محاكمة الأحداث**، هي طريق الهلاك والزوال للأمم والمجتمعات، والذي يرى مقدار الازدواجية والانتقائية في الحكم على الأحداث، ومقاربة القضايا في النظام العالمي اليوم يعرف أن معاناة البشر، والأزمات التي يعانيها هذا النظام لم تأت من فراغ، فقانون الله بحسب التعبير النبوي: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**»، والأمم والمجتمعات تتفاوت فرصها في البقاء والازدهار عكسيًا مع مقدار ما فيها من هذه الانتقائية والازدواجية.

3. وفي موقف آخر أيضًا أوضح النبي لأصحابه معنى السنة، و«أنه لا يوجد لله أبناء» بل الجميع بشر تسري عليهم سنة الله في البشر، فقد كان النبي يستشرف مستقبل أمته، وأنه سيأتي عليها داء الأمم من قبل، فهي ليست استثناء على سنة الله، وأن موقفهم المعرفي وعلاقتهم بالمعرفة، لن تبقى في الأفق الذي هي عليه اليوم « فذكر شيئًا وقال ذلك حين ذهاب العلم، وفاجأ هذا بعض الحضور من الصحابة، فتساءلوا وكيف يذهب العلم «وكانوا يقصدون القرآن» وقد حفظناه ووعيناه وعلمناه أبناءنا وأبناؤنا يعلمونه أبناءهم، وأمام هذا الفهم نقل النبي الحوار من مستوى النبوءة التي يمكن الاحتجاج عليها والمجادلة فيها، إلى مستوى آخر لا يمكن الاحتجاج عليه والمجادلة فيه، **مستوى آيات الآفاق والأنفس كمرجعية حيادية مستقلة**، فقال لصاحبه ثكلتك أمك يا ابن لبيد ! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة! **أولا ترى اليهود والنصارى وبين أيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء؟؟؟**

فالنبي أشار في قوله إلى واقع مرئي معاش ينطق بهذه السنة الأنفسية، بما ليس في وسعهم تكذيبه أو إنكاره، وأشار إلى أن الحياة الاجتماعية تحكمها سببية ما، و**عندما تتحقق هذه السببية في أي مجتمع فإن النتائج لا يمكن أن تتخلف لأي اعتبار**، وإن كنا ندرك أن السببية في الأحداث الاجتماعية سببية معقدة لكثرة العوامل والمجاهيل في المعادلة الاجتماعية.

4. إن القرآن الكريم عندما تحدث عن الآباء الأولين الصالحين والطالحين، قطع العلاقة بينهم وبين الأبناء، بما يحرر الأبناء من أثقال الآباء فبين أن **صلاح الآباء لا ينفع الأبناء، وأن ضلال الآباء لا يضر الأبناء**، والعلاقة بهم تكون في مستوى العبرة والعظة، والبناء على ما قدموا من جهد، أما **الاستغناء بما قدموا عن الجهد الحي الفعال، فهو وصفة البوار في الدنيا والهلاك في الآخرة**، والقرآن يوضح أن الناس (الآباء والأبناء) في الآخرة هم رهن ما يكسبون في الدنيا، «كل نفس بما كسبت رهينة» وكسب الآباء يعود عليهم وحدهم، سالبًا أكان هذا الكسب أم موجبًا» {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (سورة البقرة، الآية 141)»

التحجر عند «مرجعية الآباء» هو التحدي الأكبر الذي واجه الأنبياء بحسب القرآن:

فالمعركة الكبرى كانت مع الآباء من خلال مواجهة تراثهم الفكري، لأن التراث الفكري لأي أمة، يختلط بوجودها بحيث يصبح جزءًا من هذا الوجود[3]، ويصبح التخلي عنه نوعًا من التخلي عن

(3) وهي ذريعة أعجبت طغاة عالمنا، فصاروا يتحدثون عن الخصوصية الثقافية، في مواجهة انتقادات المنظمات العالمية للامتيازات الإمبراطورية التي يتمتعون بها في مزارعهم (بلدانهم).

أخص خصائص الذات، وبخاصة في الأمة التي كفت عن النمو والتطور من وقت بعيد، فالأمة النامية تواصل الحذف والإضافة بصورة مستمرة للتكيف مع الزمن المتحرك، بفاعلية وكفاءة وهذا ضروري حتى للحفاظ على وظيفتها ورسالتها، أما الأمة التي كفت عن النمو، فكل محاولة للحذف تبدو لها في صورة تبديد للذات وتخلٍ عن بعض مكوناتها، ولذلك تحاربها لأنها ترى فيها تهديدا لوجودها! وهو العجز والكسل بعينه الذي استعاذ وحذر منه النبي[4].

ولذلك فإن أصعب اللحظات هي لحظة انتزاع الفرد من تراثه وتاريخه وماضيه ليبدأ حياة جديدة من أفق جديد! ينطلق فيها من تراثه ولا يتحنط فيه، يسير من الماضي باتجاه المستقبل من دون أن يغرق فيه، بينما تنظر المجتمعات الراكدة لكل جديد نظرة تهديد وجودي، ويمكننا أن نستطلع جوانب هذه «المعركة» بكل معنى الكلمة، في ما دار بين النبي محمد وقومه، و تظهر حدود هذه المواجهة وملابساتها بوضوح في ثنايا الادعاء الذي تقدم به سادة قريش ضد النبي محمد لدى عمه أبي طالب:

«**يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا**، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فَنَكْفِيكَهُ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا»

فقد احتوى الادعاء[5] على جريمة عقائدية (سب آلهتنا)، وجريمة اجتماعية (عاب ديننا)، وجريمة شخصية (سفه أحلامنا)، وجريمة أخلاقية (ضلل آباءنا).

فالادعاء يحوي مجموعة جرائم لا يمكن التعايش معها، ولا العفو عنها، ولا تجاهلها، لأنها تهديد للمجتمع في المستويات الأربعة الشخصية والاجتماعية والدينية والأخلاقية، ولذلك كانت معركتهم مع محمد معركة وجودية، لا تكون لها نهاية إلا بزوال أحد الفريقين، وهذا ديدن ملة الأقوام بحسب التعبير القرآني، فهي لا تعترف بالآخر على الإطلاق، وهذا يبين حدود اختلاط المعركة السياسية بالمعركة العقائدية.

موقف القرآن من الآباء الذي يشكل الأرضية العميقة لموقف جودت:

- يمكننا أن نقول إن الموقف القرآني من تراث الآباء يضعه في ثلاثة مستويات:

1. **عندما يكون فساد التراث غير ظاهر، ولا يزال للتراث بعض الوظائفية**، إذ لا يبدو مستنفذًا، بل ما زال لديه ما يقدمه لخدمة الواقع، ولديه القدرة على العطاء: (تأمين الشرعية، الحفاظ على وحدة المجتمع، تأمين الاستقرار الاجتماعي)، (ويمكن أن نمثل تاريخيًا لهذه الحالة من العصر العباسي الثاني حتى مرحلة الاستعمار)، كما يمكن توظيفه في قضايا المواجهة مع الخارج، وقد خدم بهذه الوظيفة خلال التاريخ كله، و في حروب الاستقلال ،وحتى اليوم ،وهذا يعظّم قيمته، وفي هذه الحال يكون الموقف القرآني: إن الفكرة الجديدة لها حق الحياة، ويجب أن تعطى فرصة

(4) كان من دعاء النبي الدائم «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل».

(5) وهذه «الكليشة» في الاتهام تذكر كثيرًا بطبيعة التهم الجاهزة المعلبة التي كانت توجه للناشطين في سياق الثورة السورية.

الاختبار، فما جاء به الآباء ليس نهاية التاريخ ولا آخر القول: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (32) **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**}(42).

فما عند الآباء لم يستنفذ تمامًا بعد، كما يدل النص والسياق، لكنه أيضًا لا يملك حق احتكار ساحة الحقيقة، ومنع أي تعبيرات أخرى ممكنة عنها، ولذلك فالعلاقة مع التراث تكون علاقة منفتحة على الجديد، وإن ما جاء به يحقق الغاية وهي القيام بالقسط، وهذا شرط في ما هو سابق، كما هو شرط في ما هو لاحق، ومن خلاله يصدر الحكم، فلا قدم التراث يكسبه معصومية، ولا جدة الجديد تعطيه مشروعية، إنه من الفعالية والنفع ما يعطي للأشياء والأفكار قيمتها، فما أوصل للغاية بأقصر زمن وأدنى جهد وأقل كلفة فهو أولى بالاتباع، وهذه العلاقة مع الجديد تشرعنه وتقيم معه مستوى من الحوار، وهي علاقة بناءة وفعالة، ومفيدة للجديد والقديم، وهذا هو المستوى الأول، أما المستوى الثاني فهو:

2. **عندما تبدو أحوال الأمة بالتعثر، لكن صلة هذا التعثر بتراث الآباء غير واضحة**، وهنا التوصية هي تفحص ما عند الآباء من معقولات ومعلومات وليس أخذها مأخذ القبول والتسليم، لأن التعثر والانسداد إنما ينشأ عن غياب العقل وطبيعة المعرفة السائدة، فالضياع ثمرة الانقطاع عن المعرفة العلمية، وسيادة الأساليب غير العقلية في التعاطي مع الوجود، وفي مثل هذه الأوضاع فإن أوامر القرآن أن يوضع تراث الآباء موضع المساءلة والاتهام: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ **لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**} (سورة البقرة، الآية 170). **وكذلك في قوله تعالى**: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**} (سورة المائدة، الآية 104).

ففي النص الأول ألمح إلى وجود مشكلة عقلية (منهجية)، أي خلل في أسلوب التعاطي مع المعقولات المتاحة، وإلى غياب المنهج المعرفي في التعاطي مع الوقائع، وفي الثانية ألمح إلى قصور المحتوى المعرفي الذي يستندون إليه في التعامل مع الوقائع، أما المستوى الثالث للتعامل مع تراث الآباء بحسب القرآن فهو:

3. **عندما تصبح الكارثة واضحة وعلاقتها السببية بالتراث مفضوحة**: وهنا الموقف هو **الإدانة المطلقة لتراث الآباء، الذي ينتج الحالة الكارثية**: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا **أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**} (سورة لقمان، الآية 21)، وعدّه أو عدّ علاقتنا به المسؤول الأول عن الكارثة، وأكبر الأمثلة على هذه الحالة، الانسداد الذي يعيشه العالم العربي والإسلامي منذ طرح سؤال النهضة قبل نحو مئة عام، حيث تنعدم القدرة على النقد والمراجعة وتغيب فرص التقدم، وجميع الحلول المطروحة في الحقل الثقافي العربي هي اتهام الآخرين وتبرئة الذات بين مختلف الاتجاهات والتيارات من غير استثناء، وقد ظهر هذا العجز فاضحًا في الربيع العربي، حتى في النماذج التي حققت النجاح في مرحلة التخلص من الفرعون، كما في تونس ومصر، ووصلت إلى السلطة، لكن الوصول إلى السلطة أظهر العيوب القاتلة العميقة، فقد ظهر تشقق النخب وغياب المشتركات الوطنية التي يمكن أن يجتمع حولها الناس، كما حدث في تونس ومصر وسورية واليمن، وظهر جليًا أن الذي يجمع الناس الآن في

هـذه الأوطـان هـو عبـاءة المسـتبد، وعندمـا تتمـزق تنعـدم كل وشـيجة جامعـة و يتفـرق المجتمـع بـددًا.

ملامح «مرجعية الآباء» بحسب القرآن:

1. **غيـاب التفكيـر المسـتقل فـي القضايـا**، وبقـاء العلاقـة مـع الأشـياء والأفـكار والأشـخاص فـي حـدود تركـة الآبـاء، مـن دون أي سـعي لإقامـة علاقـة جديـة مسـتقلة، بـل يشـيع الاكتفـاء بالتـرداد الوجـل لمـا فعلـه الآبـاء أو قالـوه، حتـى لـو صدمنـا الجـدار مئـات المـرات، وهـذا النمـوذج اسـتنكرته النبـوة علـى لسـان إبراهيـم:

«ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، هل ينفعونكم أو يضرون، **بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**».

إن امتحـان المسـلمات المعرفيـة للآبـاء علامـة صحـة عقليـة، كمـا أنـه ضـرورة وجوديـة، إنـه يشـبه تمامًـا مـا يقـوم بـه المهندسـون فـي تهيئـة الأرض للبنـاء، مـن معرفـة خصائـص التربـة وطبيعتهـا، وملاءمتهـا للبنـاء والتأسـيس، وأي محاولـة لتجـاوز هـذه المرحلـة تجعـل العمـل عابثًـا وغيـر مأمـون، وربمـا تكـون لهـا نهايـات كارثيـة، كمـا يشـيع فـي مجتمعاتنـا.

2. **الخضـوع للأسـماء والألقـاب**: فالتاريـخ المنتصـر العظيـم الـذي يمتلـئ بالفتوحـات، يحـول دون النقـد والمراجعـة، وأسـماء الآبـاء الكبـار التـي تمـلأ التاريـخ، ووضعـت المصنفـات الكبيـرة تتمتـع بالحصانـة المعرفيـة التـي تصـل لدرجـة العصمـة أحيانًـا، فهـي فـوق النقـد، ومـا قالـوه فيهـا فـوق المراجعـة، ويبقـى غـلًا وقيـدًا يعيـق الحركـة ويمنـع الانطـلاق.

- {مَـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِـهِ إِلَّا **أَسْـمَاءً سَـمَّيْتُمُوهَا أَنْتُـمْ وَآبَاؤُكُـمْ مَـا أَنْـزَلَ اللَّـهُ بِهَـا مِـنْ سُـلْطَانٍ** إِنِ الْحُكْـمُ إِلَّا لِلَّـهِ أَمَـرَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّـاهُ ذَلِـكَ الدِّيـنُ الْقَيِّـمُ وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سـورة يوسـف، الآية 40).
- {إِنْ هِـيَ **إِلَّا أَسْـمَاءٌ سَـمَّيْتُمُوهَا أَنْتُـمْ وَآبَاؤُكُـمْ مَـا أَنْـزَلَ اللَّـهُ بِهَـا مِـنْ سُـلْطَانٍ** إِنْ **يَتَّبِعُـونَ إِلَّا الظَّـنَّ وَمَـا تَهْـوَى الْأَنْفُـسُ** وَلَقَـدْ جَاءَهُـمْ مِـنْ رَبِّهِـمُ الْهُـدَى} (سـورة النجـم، الآيـة 23).

ونلاحـظ بحسـب السـياق القرآنـي أن المشـكلة هنا علـى مسـتويين، مسـتوى العبوديـة الخالصـة والتقديس التـام التـي لا تسـتبطن أي نـوع مـن الجهـد المعرفـي (مسـتوى العبـادة)، والمسـتوى الثانـي مسـتوى فيـه بعـض الجهـد غيـر الكافـي للتحـرر، إنـه جهـد قائـم علـى التصنيـف والتبويـب والتحقيـق[6] كمـا درجـت عليـه العلاقـة مـع إنتـاج الآبـاء فـي عالمنـا الثقافـي، (مسـتوى التسـمية).

3. **الدخـول فـي مواجهـة المصلحيـن والمنوريـن مسـتندين إلـى المـوروث الراسـخ، معلنيـن تمسـكهم بـه، متهميـن الداعـي بضعـف الحجـة وغيـاب الدليـل**، مـع الإعـراض الكامـل عـن مسـاءلة الواقـع ومقاربـة الكارثـة.

{قَالُـوا يَـا هُـودُ مَـا جِئْتَنَـا بِبَيِّنَـةٍ وَمَـا نَحْـنُ بِتَارِكِـي آلِهَتِنَـا عَـنْ قَوْلِـكَ وَمَـا نَحْـنُ لَـكَ بِمُؤْمِنِيـنَ} (سـورة هـود، الآيـة 53).

وهـذا الموقـف قـد يكـون مبـررًا مقبـولًا، لـو اقتصـر الاتهـام علـى نقـص الدليـل، لكـن مـا تـلاه مـن

(6) ولذلـك طبعـت موسـوعات فقهيـة ضخمـة لا تجـد فيهـا جهـدًا للفقيـه المعاصـر إلا الغـوص فـي مـا كتبـه الأولـون، وجمعـه ووضعـه فـي مـكان واحـد، مـع غيـاب تـام للفقيـه المعاصـر وعصـره وعقلـه.

التعبير بين درجة من التصلب العقائدي الذي لا يقبل المراجعة (ما نحن بتاريك آلهتنا) ونية الرفض الكلي لما جاء به النبي بغض النظر عن الدليل (وما نحن لك بمؤمنين) وهذا يبين أن الاتهام بنقص الدليل ليس إلا حجة للتعبير عن موقف رافض متصلب.

4. **اتهام الداعي في ولائه وإخلاصه**: ويبلغ منهم القحة والجرأة أن يتهموا المصلح في ولائه لمجتمعه ودينه وفي نصحه لأمته، وكم أسكتت هذه الحجة أقلامًا وأعدمت فكريًا أشخاصًا، فوسمت نتاجهم بهذه الوسوم، وكانت وسيلة لاستمرار سدنة الظلام في السيادة والقيادة، وهذا ما يعبر عنه قوم صالح في مواجهة ناصحهم ومنقذهم! {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (سورة هود، الآية 62)، لقد كان هذا الرجل بحسب الادعاء أملًا ومحلًا للرجاء، لكن ما تحدث به «فضحه» «وبين حقيقة دعواه التي لا يراد منها نصح الأمة وخدمتها!

5. **الاحتجاج على الإلحاح والرد بالتحدي**: بما يعبر عن درجة من التصلب العقائدي، والصرامة الفكرية التي تلغي أي فرصة للحوار وأي احتمال للمراجعة: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (سورة هود، الآية 32)، فهم يتهمون النبي بأنه يقوم بعمل بلا معنى، فهو جدل بلا قيمة ولا غاية، وأنه لن يغير موقفهم، ولن يزحزح مسلماتهم، مهما كانت طبيعة الحوار ومخرجاته، وهم يتحدونه بما يتوعدهم به.

6. **الإصرار والتعنت: وغالبًا ما تكون وسيلة هؤلاء في مواجهة البينات التي يقدمها الآمرون بالقسط، مزيدًا من الجحود والتصلب، والتعنت، والمجاهرة بموقف خشبي غير قابل للتعديل أو التبديل، كما يجسده قوم نوح الذين لبث فيهم عمرًا مديدًا يدعوهم من غير طائل:**

- {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}** (سورة إبراهيم، الآية 9).
- {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ **ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**} (سورة البقرة، الآية 92).

فمجيء الرسل بالبينات لم يغير طبيعة المعركة ولا مخرجاتها، ولم يؤثر في مواقف الأقوام، فقد بلغت مواقفهم درجة من التكلس لا تسمح بأي مستوى من الزحزحة والنقد والمراجعة، وكل ما قيل عن طلب البينات كما هو شائع في مواجهة الأنبياء مع أقوامهم، كان نوعًا من الإستراتيجية التي تغالط حقيقة المواجهة، وتسعى لكسب الوقت، وتحاول التشويش على دعوة النبي أو الآمر بالقسط، وهي تقنية تبرع بها أنظمة الاستبداد اليوم.

7. **التهديد بالقتل**: وعندما تصل التعبيرات عن مواقفهم المتصلبة إلى مداها، وعندما يبلغ عجزهم الفكري في المواجهة أقصى تجلياته، فإن سلاحهم في مواجهة الآمرين بالقسط تكون في التلويح بالإعدام الجسدي للآمرين بالقسط، بعد أن تبين لهم أن الإعدام الفكري أو الأخلاقي قد تعثر، هذا ما هدد به قوم نوح، وما لوح به قوم إبراهيم وما حاوله في مكة قوم محمد.

- {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء: 116]
- {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ **لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**} [مريم: 46]

واليوم ما هو موقف الآمرين بالقسط أمام «مرجعية الآباء»؟

نستطيع مقاربة الموقف من الآباء اليوم من خلال نقاط عدة، يمكنها أن تخلخل الموقف العقائدي المتصلب، الذي يصنّم الآباء ويسبغ عليهم القداسة، ولا يميز بين النجاحات التي حققوها، بوصفهم بشر قاموا بوظائفهم بصورة مكافئة في زمانهم ومكانهم، والإطلاقية الزمانية المكانية التي يحاول أن يسبغها عليهم البعض أقوالًا وأفعالًا بما يخالف طبيعتهم البشرية، ومنطق التاريخ، وطبيعة الهدي القرآني، ويحولهم إلى قيود وأغلال في أعناق الناس، بدل أن يكونوا أرضية للانطلاق، وإقامة علاقة صحية صحيحة مع الحاضر:

1. النقطة الأولى: إن «السلف الصالح» لم يكن لهم مثل هذا السلف الصالح الذي ندعيه، فإذا أردت أن تقلد السلف الصالح حقيقة، فالخطوة الأولى أن تتحرر من هذا المفهوم، وأن تلتفت إلى نفسك وتبدأ منها، فرأس السلف الصالح أي النبي وأصحابه لم يكن لهم سلف صالح بالمعنى الذي نتداوله، وهذه واحدة.
2. والنقطة الثانية: إن المرجع بحسب القرآن الكريم هو «**ما أنزل الله**» ونستطيع القول إن ما أنزل الله على نوعين: نوع أُنزل في الكتاب، ونوع أشار إليه الكتاب، وهو ما ينزل في الكون، فالقرآن الكريم وهو الوحي غير المباشر أو الوحي المنفصل يأخذ بيدنا إلى الوحي المباشر أو الوحي المتصل الدائم في الكون والتاريخ، (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين أنه الحق) والكون والتاريخ شاهدا العدل للقرآن.
3. التجربة التاريخية الإسلامية بدءًا من سيرة النبي والراشدين محل للاعتبار والمراجعة، فهي أول تنزيل بشري للنص القرآني، ولكنها مشروطة بتاريخها وبشريتها.
4. القرآن والكون والتاريخ والعقل: هي المكونات التي أنشؤوا منها عالمهم الثقافي. وفي بحث جودت عن العمل قال: «إن ولادة العمل تأتي من تلاقح زوجي القدرة والإرادة، وأن القدرة تأتي من تلاقح زوجي العقل والكون، وأن الإرادة تأتي من تلاقح زوجي العقل والمثل الأعلى (القرآن).
5. فلما نضع العقل الإنساني أمام القرآن والكون والتاريخ نعيده للحظة التأسيس، ونمده بأدوات التأسيس، التي أنشأت حضارة الأمة لأول مرة، ونحن بهذا نحرر العقل المسلم من زينة القوم التي تثقل ظهورنا وتعيق حركتنا في التاريخ، وهذا ما اجتهد جودت سعيد وجهد من أجله بكل ما أوتي من الوسع والطاقة[7].

---

(7) طلبت من أحد الإخوة الكرام مراجعة ما كتبت فتكرم علي بعدة ملاحظات رأيت أن أسجل هنا إحداها: إن الطرح المتوازن والموضوعي المهتم بتقديم ما ينفع الناس وتغيير واقعهم شرطه الأساس أن لا يلتفت إلى ما قدمة السلف إلا بقدر الاستفادة منه، لا بقدر إثبات خطئه فالخطأ خطؤنا وليس خطأهم، وهنا تصبح معركته في واقعه المشكل ومستقبله لا في ماضيه وما ترك هذا الماضي من أثر، وللأسف ما أكثر من يشتبك مع الماضي ويضيع جهده، والأستاذ جودت برأيي المتواضع أيضًا هو أفضل من استطاع أن يقارب هذه النقطة، لذلك كان مقبولًا بشكل لا بأس به عند الجميع تقريبًا واستطاع أن يقدم خيارًا ملائمًا للعمل الهادئ.

المشاركون في هذا العدد

1. المهدي مستقيم
2. إبراهيم برغود
3. أحمد الرمح
4. أحمد طعمة
5. باسم سليمان
6. بدر زكريا
7. جمال نصّار
8. حمدان العكله
9. حمزة رستناوي
10. خلود الزغير
11. سعيد بوعيطة
12. سمير ساسي
13. صادق يالسيز أوتشانلار
14. صفوان قسَّام
15. طارق عزيزة
16. طالب إبراهيم
17. عبد الرزاق دحنون
18. عمار الأمير
19. فاطمة علي عبُّود
20. محمد العربي العياري
21. محمد العمَّار
22. محمد أمير ناشر النعم
23. محمد نفيسة
24. محمود أحمد عبدالله
25. منير الكشو
26. هَلا علّوش

ميسلون
للثقافة والترجمة والنشر
Maysaloon for Culture, Translation and Publishing

السعر 15 دولارًا

2757-8909